



ستة أشياء تُغلق باب التوفيق

خطب الجمعة

2021-01-28

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا نَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَبَارِكْ لَنَا بِشَيْخَانَا وَبِحَيَاتِهِ وَبِعَمْرِهِ.

أحبابنا الكرام: ذكر ابن القيم الجوزية رحمه الله في كتابه الفوائد عن شقيق البلخي أنه قال: أُغْلِقُ بَابَ التَّوْفِيقِ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ سِتَّةِ أَشْيَاءٍ، أَي بِسَبَبِ أَشْيَاءٍ سِتَّةٍ، مَا هَذِهِ السِتَّةُ الَّتِي تُغْلِقُ بَابَ التَّوْفِيقِ؟

1- اشْتَغَالُهُمُ بِالنِّعْمَةِ عَنِ شُكْرِهَا

إخواننا الأحباب: اليوم كثراً في ضيافة أختنا، وقَدَّمْ لَنَا مَا قَدَّمَ جَرَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، فَالآن لو افترضنا أننا وضعنا مصوِّرة- كاميرا- وصوِّرتنا وقد أكلنا الطعام الطيب الذي طيَّبته العافية ولله الحمد والمِنَّة، ثم خرجنا ونسينا أن نقول لصاحب الدار: جزاك الله عنا خيراً، فما يكون حالنا إذا نظرنا بما صورته المصوِّرة؟! لقد نسينا أن نشكر صاحب الطعام، اشتغلنا بالطعام عن صاحب الطعام.



انتقل من النعمة إلى المُنعِم

حالتنا في الدنيا أننا على مائدة الله، وهذه المائدة اليوم كانت مائدة الله، وكل الموائد موائد الله، فكيف نشتغل بالنعمة عن المُنعِم فلا نشكره ونقول يا رب لك الحمد! نعمة الماء، نعمة الطعام، نعمة الزوجة، نعمة الولد، فلما يشتغل الإنسان بالنعمة وينسى المُنعِم جلَّ جلاله فإنه يُغْلِقُ بَابَ التَّوْفِيقِ عَنْهُ، وشيخنا دائماً يقول: لا تبقَ مع النعمة، انتقل من النعمة إلى المُنعِم، لأن المُنعِم جلَّ جلاله عنده الجمال، وعنده الكمال، وعنده العطاء والنوال، أما هذه الأشياء فزائلة، لكن ما الذي يبقى؟ يبقى المُنعِم جلَّ جلاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)

(سورة الرحمن)

فابق مع الله جلَّ جلاله، ولا تبقَ مع النعمة الزائلة، نستمتع بالنعمة دون أن ننسى المنعم.
أُغْلِقْ بَابَ التَّوْفِيقِ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ سِتَّةِ أَشْيَاءَ: اسْتَعَالَهُمْ بِالنِّعْمَةِ عَنْ شُكْرِهَا.

2- رَغْبَتُهُمْ فِي الْعِلْمِ وَتَرْكُهُمُ الْعَمَلَ.



العلم ما عَمِلَ بِهِ

فالعلم ما عَمِلَ بِهِ فَإِنْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِ كَانَ الْجَهْلُ أَوْلَى، لَأَنَّ الْجَاهِلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَبَّمَا يَقُولُ: يَا رَبِّ كُنْتُ جَاهِلًا، وَلَا يُعْذَرُ الْإِنْسَانُ بِجَهْلِهِ مَا دَامَ فِي دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنْ تَبَقَى جَرِيمَتَهُ أَقَلًّا
مَنْ تَعَلَّمَ ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا عِلَّمَ، لِذَلِكَ أَيُّهَا الْأَحِبَّابُ: لَا يَنْبَغِي أَنْ تَشْغَلَ بِالْعِلْمِ عَنِ الْعَمَلِ، قَالَ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)

(سورة المجادلة)

في آية ثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (10)

(سورة فاطر)

فالعلم والعمل قيمتان اعتمدهما القرآن الكريم للترجيح بين الخلق، لكنَّه العِلْمُ الذي يؤدي إلى العمل، أما العِلْمُ الذي لا يؤدي إلى عمل فلا قيمة له.
أيها الكرام؛ أُغْلِقْ بَابَ التَّوْفِيقِ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ سِتَّةِ أَشْيَاءَ: اسْتَعَالَهُمْ بِالنِّعْمَةِ عَنْ شُكْرِهَا، وَرَغْبَتُهُمْ فِي الْعِلْمِ وَتَرْكُهُمُ الْعَمَلَ.

3- الْمُسْتَارَعَةُ إِلَى الذَّنْبِ وَتَأْخِيرُ التَّوْبَةِ

نحن أوبرنا أن تُسارع إلى التوبة وأن تُؤخِّرَ الذَّنْبِ، فإذا بالبعث يُسارع إلى الذَّنْبِ وَتُؤخِّرُ التَّوْبَةَ، يقول: سوف أتوب، و(سَوِّفَ) جندِي من جنود إبليس، وقد قالوا:
لا تَقُلْ: حتى أنهي الدراسة أبدأ بالاستقامة، بل استقم الآن، لا تقل: ينتهي هذا المشروع وإن شاء الله لن يكون هناك مشروعات قادمة بالربا، بل بدعاً بهذا المشروع أوقف الربا، فما أدراك أنك تعيش إلى المشروع
الذي يليه! ثم قد تقول: أتزوج ثم أستقيم، وما أدراك أنك ستتزوج يا أخي! وما أدراك أنك تموت قبل أن تتزوج، فلا تقل: سَوِّفَ وَحَتَّى، وقد قيل: هَلْكَ الْمُسَوِّفُونَ.

فالإِنسان لا ينبغي أن يقول: سَوْفَ، وإنما يُبادر الآن إلى التوبة ويُوَجِّر الذنب، يترك الذنب، كلنا ذو خطيئة لكن الإنسان ينبغي أن يبادر إلى باب الله. أُعْلِقُ تَابَ التَوَفِيقِ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ سِتَّةِ أَشْيَاءَ: اسْتَعْلَاهُمْ بِالنِّعْمَةِ عَنْ شُكْرِهَا، وَرَغِبَتْهُمْ فِي الْعِلْمِ وَتَرْكُهُمُ الْعَمَلَ، وَالْمُسَارَعَةُ إِلَى الذَّنْبِ مَعَ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ.

4- الاغترارُ بِصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ وَتَرْكُ الْاِقْتِدَاءِ يَفْعَالِهِمْ

قالوا: المَخْرُومُ مَنْ حَرِمَ مِنْ تَرْكَةِ أَهْلِ رَمَائِهِ.



أهمية الاقتداء بأفعال الصالحين

والله أيها الكرام: شيخنا الدكتور محمد راتب النابلسي جزاه الله عنا كل خير، ومن بركة الزمان، وجلوسنا اليوم في مجلسه فضل من الله، لأن آخرين يجلسون والعباد بالله في مجالس اللّهُ، ويقول لك: التقطتُ صورةً مع الفنان الفلاني ممّن ساءت سيرته نسأل الله العافية، لكن نحن أكرمنا الله عزّ وجلّ بأن نجلس مع الصالحين لكن لا ينبغي أن نعتزّ بهذا الجلوس دون أن نقتدي يفعالهم، كان لشبخنا مثلٌ جميلٌ جداً يقول: إن مستخدماً -والمستخدم على العين والرأس- قد يكون خيراً من مدير الشركة، لكن استغلّ غياب المدير العام عن الشركة ودخل وجلس خلف المكتب، هل أصبح مديراً للشركة؟ لا، لأنه يحتاج إلى ابتدائية وإعدادية وثانوية، ومدير الشركة دكتور، إن لم يبدأ بتحصيل العلم لن يستفيد، فلا ينبغي أن نعتزّ بصُحبة الصالحين، نعم نُصاحبهم وهم يركتنا ونسأل الله أن يرحمنا ببركتهم هذا مطلوبٌ وليس فيه أي إشكال:

{ رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ حَطَّاءٌ إِذَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، فَيَقُولُ: وَلَهُ عَقْرْتُ، هُمْ الْقَوْمُ لَا يَسْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ }

(رواه مسلم)

(هُمُ الْقَوْمُ لَا يَسْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) كما صحَّ في الحديث، بعضنا يأخذ بيد بعض إن شاء الله، وضحيتنا للصالحين فيها خير، لكن لا نعتزّ بها، جلسنا مع الشيخ، أخذنا صورةً تذكاريةً ورجعنا إلى أعمالنا المخالفة للشريعة، والله ما فعلنا شيئاً، لكن ينبغي أن نبدأ نصح لنا الشيخ، نقتدي بما قاله شيخنا، نقتدي بفعاله وأخلاقه وعلوه، وبكل الصالحين. أُعْلِقُ تَابَ التَوَفِيقِ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ سِتَّةِ أَشْيَاءَ: اسْتَعْلَاهُمْ بِالنِّعْمَةِ عَنْ شُكْرِهَا، وَرَغِبَتْهُمْ فِي الْعِلْمِ وَتَرْكُهُمُ الْعَمَلَ، وَالْمُسَارَعَةُ إِلَى الذَّنْبِ وَتَأْخِيرُ التَّوْبَةِ، وَالْاِغْتِرَارُ بِصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ وَتَرْكُ الْاِقْتِدَاءِ يَفْعَالِهِمْ.

5- إِذْبَارُ الدُّنْيَا عَنْهُمْ وَهُمْ يَتَّبِعُونَهَا وَإِقْبَالُ الآخِرَةِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهَا

نحن منذ خُلِقنا استديرتنا الدنيا واستقبلنا الآخرة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّكَ مَبِئُوثٌ وَإِنَّهُمْ مَبِئُوثُونَ (30)

(سورة الزمر)



نحن في الدنيا ضيوف

نحن محكومون بالموت مع وقف التنفيذ، متى يأتي التنفيذ؟ الله أعلم، لكن حُكْمنا بالموت منذ خُلِقنا، وجئنا للدنيا على هذا الشرط أننا سنموت، فاستدبرنا الدنيا، أصبحت الدنيا وراءنا فالإنسان ينظر إلى ورائه أم ينظر إلى ما سيأتي؟ قال: **إِدْبَارُ الدُّنْيَا عَنْهُمْ وَهُمْ يَتَّبِعُونَهَا وَإِقْبَالُ الآخِرَةِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهَا**، شيءٌ غريب، أنت الآن ذاهبٌ إلى هناك انظر ماذا ستفعل هناك، أما بيتك فقد تركته، انتهى، استقبل ما سيأتي واستدبر ما مضى فالدنيا مضت، انتهت، كلنا انتهت دنيانا، الآن في هذه اللحظة والله الدنيا انتهت، كم بقي لكل واحدٍ مئةً عشرةً أو عشرون أو ثلاثون أو أربعون سنة؟ انتهت، الدنيا انتهت، نحن مُقبلون على الآخرة، نحن أبناء الآخرة، نحن في الدنيا ضيوفٌ هذه ليست دار مقامٍ لنا جئنا إليها ضيوفاً وسنغادر، المقام في الآخرة، فينبغي أن نعمل لما نستقبله لا لما نستدبره، وهذا لا يعني ترك العمل في الدنيا، لا، أبداً، ولكن يعني ترك العمل للدنيا، فنحن لا نعمل لدنيانا، لكن نعمل فيها، نبنى فيها بيتاً ونزوّج ونُحب ونأكل ونشرب لكن همّنا الآخرة، لذلك في الحديث:

{ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو بِهَوَلاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: (اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ حَسَنَاتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّاتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا نُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَارَتَنَا عَلَى مَنْ طَلَمْنَا، وَأَنْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا** }

(رواه الترمذي)

(اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا) لم يقل: لا تجعل الدنيا همّنا، من ذا الذي لا تكون الدنيا همّاً من همومه! يريد أن يزوّج أولاده وبناته، ويريد أن يشتري بيتاً، وأن يُؤسس عملاً، كلنا الدنيا همٌّ من همومنا، لكنها ليست أكبر همّ المؤمن، أكبر همّ هو الآخرة والدنيا يأخذ منها بما يوصله إلى الهدف وبما يُعينه على الهدف، فإن كان المال يُعينه على طاعة الله فبها حبّذا المال، وإن وجد أنه يصرفه عن طاعة الله فالحمد لله أن صرّف عني المال، وهكذا.

أُغْلِقُ بَابَ التَّوْفِيقِ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ بَيْتِهِ أَشْيَاءُ: اسْتَغَالَهُمْ بِالنِّعْمَةِ عَنِ شُكْرِهَا، وَرَغِبَهُمْ فِي الْعِلْمِ وَتَرْكُهُمُ الْعَمَلَ، وَالْمُسْتَارِعُهُ إِلَى الذَّنْبِ وَتَأْخِيرُ التَّوْبَةِ، وَالْإِعْتِرَازُ بِصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ وَتَرْكُ الْإِقْتِدَاءِ بِفَعَالِهِمْ، وَإِدْبَارُ الدُّنْيَا عَنْهُمْ وَهُمْ يَتَّبِعُونَهَا، وَإِقْبَالُ الآخِرَةِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهَا.

بارك الله بشيخنا ونفعنا بعلمه.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ